الاستراتيجيات التربوية للحد من تأثير الفضائيات على تنشئة الطفل

ملخص

يهدف المقال الحالي إلى التعرف على الآثار السلبية للفضائيات على تنشئة الطفل انطلاقا من آراء بعض الباحثين الغربيين الذين أسسوا للصراع الحضاري.

وفي نفس الوقت يقترح هذا المقال بعض الاستراتيجيات التربوية للحد من تأثير هذه الفضائيات على الأطفال كإشباع بعض الحاجات الأولية للطفل و وعي الأولياء بمدى خطورة هذه الفضائيات...

د. منصور بن زاهي
د. محمد الساسي الشايب
كلية العلوم الاجتماعية
والعلوم الإنسانية
جامعة ورقلة
الجزائر

مقدمة

إن الحديث عن وسائل الإعلام والفضائيات خاصة وتأثيراتها المختلفة على الكبار والصغار، يدخل في إطار الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، وخاصة نظامه الجديد – العولمة أو الأمركة- فقد احتدت شدة المنافسة بين مؤسسات الإعلام المحلي رسمية وغير رسمية، ومؤسسات الإعلام الأجنبية التي أصبحت لا تصدر برامجها فقط، بل تصدر تنظيماتها وفلسفتها وتفاصيل أدائها (نبيل علي 2001، ص388) وقد ظهرت في العقدين الأخيرين من القرن الماضي(القرن 20) العديد من النظريات التي تؤسس لذلك، نذكر منها:

1- نظرية " نهاية التاريخ" لصاحبها "فرنسيس فوكوياما"، وهي محاولة لإلغاء البعد التاريخي ووضع جميع الأمم والشعوب عراة أمام الجانب والبعد الاقتصادي، وهي نظرية تدعو لتجاوز القيم الخلقية وثوابت العقائد والأديان، إنها دعوة

Résumé

Cet article traite de l’impact négatif des chaines étrangères sur l’éducation de l’enfant algérien et propose quelques stratégies éducatives pour faire face à ce phénomène.

لإلغاء الذاكرة التاريخية وتحكيم الاقتصاد المتسلح بقوة العلم والتكنولوجيا.

2- نظرية "صراع الحضارات" لصاحبها "صمويل هينتنغتن"، وهي نظرية تعتقد أن الغرب بعد سقوط الاتحاد السوفياتي بحاجة إلى عدو جديد يوحد دوله وشعوبه، وأن الحرب لن تتوقف، حيث أن حربا حضارية قادمة ستستمر بين المعسكرين الغربي(أمريكا) وبين طرف آخر قد يكون العالم الإسلامي أو الصين.

3- دعوة نائب الرئيس الأمريكي "آل جور" صاحب مصطلح طريق المعلومات الفائق السرعة، حيث حرص آل جور على أن ينقل طموحه المحلي خارج حدود بلاده بإقامة بنية أساسية معلوماتية عالمية ينعم بها سواء بسواء أغنياء عالمنا وفقراؤه، يقول آل جور: "دعونا نتجاوز الأيديولوجيا ، لنتحرك معاً صوب هدف مشترك لبناء بنية أساسية معلوماتية عالمية لمصلحة جميع الدول من خدمة اقتصادنا الحر...".

إنها دعوة سافرة لإيديولوجيا النموذج الرأسمالي الذي يسعى القطب الأمريكي لتعميمه من خلال مخططه للعولمة، وطريق المعلومات فائق السرعة هو شريان نقل بضاعة صناعة الثقافة الأمريكية عالمياً(نبيل علي 2001،ص24)

4- ترسخ الاتجاهات الهادفة إلى هيمنة الطابع الترفيهي على وسائل الاتصال والإعلام الجماهيري، حيث تسود هذه الوسائل موجة عارمة من المواد الترفيهية التي تغمر المتلقي.

لقد بدأت هذه الموجة في الغرب، وفي الولايات المتحدة الأمريكية أساساً ثم أخذت تتسع لتشمل العالم كله، ويقوم أتباع هذه الموجة بحملات للترويج لها ولإزاحة العقبات التي تقف في طريقها، ومن هذه العقبات الهوية القومية والوطنية والثقافة القومية والوطنية...(أديب خضور1999،ص5).

5- فكرة القرية الكونية التي ابتدعها مارشال ماكلوهان والتي تسعى إلى إقامة شبكة من العلاقات تربط بين الأفراد والجماعات والأمم والثقافات.

يرى "هربارت شيلار" صاحب نظرية الإمبريالية الإعلامية أن فكرة القرية الكونية هي استخدام قوة الميديا من أجل فرض القيم والعادات والنزعات الاستهلاكية، كثقافة أجنبية وافدة على حساب الثقافة المحلية.

وقد تفرع خطاب الإمبريالية الإعلامية كما أوضح "جون توملينسون" إلى أربعة فروع رئيسة هي:

- خطاب يرى الإمبريالية الإعلامية في السياق الشامل للإمبريالية الثقافية، ويرفض الفصل بينهما

- خطاب ينظر إلى الإمبريالية الإعلامية من المنظور القومي، حيث يرى فيها تهديداً للهوية القومية.

- خطاب ينظر للإمبريالية الإعلامية باعتبارها وسيلة للسيطرة وتجديد دماغ الرأسمالية من أجل مزيد من الاستغلال.

- خطاب يرى امبريالية الإعلام كأحد مظاهر الحداثة التي يجب النظر إليها بصفتها مصدر الداء الرئيسي(نبيل علي2001، ص376).

ومن هذا المنطلق فإن هناك قناعة في الأوساط الثقافية والفكرية أن هناك صراعاً دائما ومستديما بيننا وبينهم، لكن الصراع اليوم لم يعد صراعاً تقليدياً بل تحول إلى صراع على مستوى آخر وهو صراع عن طريق الإعلام، حيث أصبح مؤكداً الآن أنه من يملك المعلومة يملك العالم.

تعريف الإعلام

يعرف الإعلام في اللغة بأنه الإطلاع على الشيء، فيقال أعلمه بالخبر أي أطلعه عليه، أما في الاصطلاح فله تعاريف عديدة لكنها تكاد تتفق جميعها على معنى واحد وان اختلفت في الصياغات، فيمكن تعريفه بأنه: تزويد الناس بالأخبار والمعلومات والحقائق التي تساعدهم على تكوين رأي في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم (الغلاييني 1985،ص41).

كما يعرف الإعلام بأنه تزويد الجماهير بأكبر قدر ميسور من المعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة(صالح هندي 1995، ص17).

ويعرف بأنه عملية تعبير موضوعي يقوم على الحقائق والأرقام والإحصاءات، ويستهدف تنظيم التفاعل بين الناس من خلال وسائله العديدة(المرجع السابق، ص18).

ويعرف أيضاً بأنه إطلاع الجماهير، عن طريق إيصال المعلومات إليهم بواسطة متخصصة بذلك، فهو ينقل كل ما يتصل بهم من معلومات وأخبار تهمهم، وذلك بهدف توعيتهم وتعريفهم بأمور الحياة المختلفة (أمل الأحمد،2001، ص69).

وعليه فيمكن القول بأن الإعلام هو مؤسسة من مؤسسات المجتمع التربوية التي تهدف إلى تزويد الأفراد والجماعات بالمعلومات والمعارف والحقائق التي تساعدهم على تكوين اتجاهات إيجابية أو سلبية حول حادثة من الحوادث أو مشكلة من المشكلات، بما يناسب قيم المجتمع وثقافته ومبادئه ومعتقداته، ليضمن لنفسه البقاء والاستمرار.

خصائص وسائل الإعلام:

يمكن تلخيص أبرز خصائص وسائل الإعلام فيما يلي:

1- تتميز وسائل الإعلام بأنها غالباً ذات اتجاه واحد، فقلما يكون هناك مشاركة للمشاهد حتى يرد أو يسأل أو يتلقى إيضاحات هو بحاجة إليها.

2- تتضمن وسائل الإعلام قسطاً كبيراً من الاختيار فوسيلة الإعلام تختار الجمهور الذي تخاطبه وترغب في الوصول إليه ومن جهة أخرى فإن الجمهور يختار من بينها ما يريد، فهو الذي يقرر ما يرغب في مشاهدته.

3- وسائل الإعلام جماهيرية لها القدرة على تغطية مساحات واسعة ومخاطبة قطاعات كبيرة من الناس.

4- وسائل الإعلام مؤسسة اجتماعية تستجيب للبيئة التي تحيط بها بسبب التفاعل القائم بينها وبين المجتمع، ومن ثم فعلينا أن نفهم المجتمع لكي نفهم وسائل الإعلام التي تعمل فيه فهماً صحيحاً، ولكي نفهم المجتمع ينبغي أن ندرس تركيبه وأفكاره الكبرى ومعتقداته الرئيسة (سعيد إسماعيل علي 1995،ص111).

أهداف وسائل الإعلام

من أهم أهداف وسائل الإعلام ما يلي:

1- تربية الناس وتعليمهم وتوجيههم إلى اتباع الأصول والعادات والأعراف الاجتماعية

2- تثبيت القيم والمبادئ والاتجاهات العامة والمحافظة عليها، ذلك لأن لكل مجتمع نسق قيمي يشكل ويحدد أنماط السلوك في المجتمع، فكلما كانت أنماط السلوك متفقة مع تلك القيم والمبادئ كان التوافق سمة من سمات المجتمع.

3- جمع الأخبار وتفسيرها والتعلق عليها لكي تكون أمام الرأي العام الفرصة لاتخاذ ما يراه من قرارات، وهذا من شأنه توعية الناس وتثقيفهم.

4- المحافظة على النظام السياسي السائد في المجتمع وتبني مخططه والدفاع عنه، وتعريف الناس بتصوراته للمواقف الحياتية المختلفة (صالح هندي 1995،ص ص 22 23).

وظائف وسائل الإعلام

تؤدي وسائل الإعلام وظائف هامة، يمكن إيجازها فيما يلي:

1- تكوين الاتجاهات: رغم أن العبء الأكبر في تكوين الاتجاهات المرغوب فيها عند النشء يقع على المدرسة والأسرة، إلاّ أن المجتمع نفسه بجميع مؤسساته له دور كبير في هذا المجال.

وتتطلب عملية تكوين الاتجاهات أو تعديلها التنسيق بين مجهود المدرسة والمجتمع لأنها تحتاج إلى وقت طويل ورعاية مستمرة، ولأنها عملية متجددة، وتقع على مؤسسات المجتمع المختلفة خاصة وسائل الإعلام مسؤولية إكساب النشء الاتجاهات الفكرية اللازمة للتطور.

2- التثقيف: التثقيف زيادة المعرفة لدى الأفراد بغير الأسلوب الأكاديمي المتبع في المدارس، مما يساعد في زيادة اتساع أفق الفرد وفهمه لما يدور حوله من أحداث.

ويكون التثقيف بالنسبة للفرد عن طريق وسائل الإعلام إما عارضاً أو مقصوداً.

والتثقيف العارض يشمل جوانب المعرفة التي يكتسبها الفرد بتعرضه لوسائل الإعلام دون قصد أو تخطيط سابق منه.

والتثقيف المقصود هو حصيلة اتجاه الفرد إلى وسائل الإعلام وتفاعله معها بهدف معين أو بخطة طويلة أو قصيرة، ويتوقف على عمله اتجاه الفرد نحو الإفادة من هذه الوسائل، وينقسم هذا الاتجاه إلى نوعن موجه وحر.

فأصحاب الاتجاه الموجه هم الجمهور الذي يقصد وسائل الإعلام بتوجيه سابق من عالم أو مرشد، لزادة معلوماتهم أو خبراتهم، وأصحاب الاتجاه الحر هم الأفراد المدفوعون بالرغبة الذاتية في العلم ليساعدهم على فهم الحياة، أو على حل مشاكل تواجههم.

3- التعارف الاجتماعي: والمقصود بالتعارف الاجتماعي احتكاك الجماهير بعضهم ببعض، ولهذا الدور جانبان الأول هو تقوية الصلة الاجتماعية بين الأفراد، الثاني هو أن وسائل الإعلام تقم للناس الشخصيات الشهيرة أو تخصص جزء من مساحتها الزمنية لتعريف الجماهير بالشخصيات التي تقوم بدور فريد في المجتمع.

4- الترفيه: ولعل هذا الجانب يكاد يغلب في بعض الأحيان في وسائل الإعلام ذاك أن للترفيه سحره القوي، ويمكن إن ننظر إلى الترفيه من جانب إيجابي باعتباره يمنح الراحة التي تمكن البشر من مواجهة متطلبات الحياة، ويرى بعض المراقبين أن الترفيه في وسائل الإعلام يعطي صمام أمن للعدوان المكبوت والدوافع المنحرفة وعلى ذلك فإنه يؤدي وظيفة نافعة اجتماعياً (سعيد إسماعيل علي 1995،ص114).

علاقة الإعلام بالتربية:

لمعرفة العلاقة بين الإعلام والتربية نشير أولاً إلى تعريف التربية، وهي كثيرة نذكر منها:

تعريف منظمة اليونسكو: تعرف منظمة اليونسكو التربية بأنها:" العمل المنسق المقصود، الهادف إلى نقل المعرفة، وخلق القابليات وتكوين الإنسان والسعي به في طريق الكمال من نواحيه المختلفة"

تعريف أحمد شبشوب: يعرف التربية بأنها ذلك العمل الواعي أو اللاّواعي الذي يقوم به الكهول إزاء الأطفال قصد تعليمهم جملة من المعارف والرموز والقيم التي يرونها صالحة للاندماج داخل المجتمع.

فكل تربية هي قبل كل شيء تمرير للمعارف والقيم والرموز من جيل الكهول إلى جيل الأطفال، وهو تمرير يهدف أساساً إلى تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية (أحمد شبشوب 1991، ص8).

ومنه يمكن التطرق إلى علاقة الإعلام بالتربية فهي علاقة تكامل، بل يمكن اعتبارهما وجهان لعملة واحدة، ويشير(فتح الباب وزميله) إلى عدد من أوجه الشبه والاختلاف بين التربية والإعلام، أما أوجه الشبه فهي:

- كلاهما تغيير في السلوك، إن هناك اتفاق بين علماء التربية على أن خير تعريف لها أنها تغير في سلوك المتعلم نتيجة تعرضه لمثير أو جملة مثيرات، كما يتفق أساتذة الإعلام وعلم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع على أن الإعلام تغيير في السلوك أيضاً.

- إذا كان كل من الإعلام والتربية يهدف إلى تغيير سلوك الإنسان، فكلاهما أيضاً يشترك في الهدف من هذا التغيير.

ومع ذلك فهناك نقاط اختلاف بين التربية والإعلام يمكن الإشارة إليه فيما يلي:

- التجانس والتباين في الجمهور:إن جمهور المؤسسة التعليمية جمهور متجانس لكن ذلك لا يتوافر بالنسبة للجمهور الإعلامي.
- التقييد والإطلاق.
- المحاسبة على النتائج.
- الدافعية.
- الصلة بين المرسل والمرسل إليه (سعيد إسماعيل علي، 1995، ص124)

إن التربية تستخدم الإعلام كوسيلة من وسائل تحقيق أهدافها، وإذا كنا في مجال الإعلام، فنحن بالضرورة في مجال تربوي، لأن مجالات التربية متعددة وكثيرة، ويمكن أن نصنفها مع ديوي بأنها وسائل مباشرة وأخرى غير مباشرة، أو إرادية وغير إرادية أو مقصودة وغير مقصودة.

فالتربية المقصودة هي ذلك العمل الواعي الذي يقوم به الأفراد أو المؤسسات قصد تغيير سلوك الأفراد والجماعات، أما التربية غير المقصودة فتتمثل في كل عمل يؤثر على سلوك الأفراد والجماعات دون أن يكون ذلك التأثير مقصوداً.

فإذا كانت التربية المقصودة ضرورة، فإن التربية غير المقصودة تكون أكثر تأثيراً وأبقى أثراً، فإن كثيراً من أعظم الدروس أهمية نتعلمها من أولئك الذين ليس لهم نية تعليمنا إياها(أحمد شبشوب،1991، ص9)، وهي أيضاً تقوم على العلم بنفسية المتلقي من جهة وعلى العلم بمطالب الواقع الاجتماعي من جهة أخرى.

ومن الناحية النظرية، لا يمكن أن ينشأ الطفل سوياً إلاّ إذا تكاملت وتعاونت الوسائط المتعددة للتربية، وإلاّ نشأ الطفل مضطرباً نتيجة التناقضات التي يعيشها،ومن ناحية أخرى لا يمكن للمجتمع أن يحقق أهدافه في الناشئة –وتحقيق أهداف المجتمعات ضرورة- إلاّ إذا قدمها له بشكل مناسب.

وما يحدث الآن: إن مجتمعنا يملك أهدافاً وقيماً يريد تحقيقها في ناشئته من خلال التربية النظامية خاصة ومن خلال بعض الوسائط الموازية مثل الأسرة والمسجد،إلاّ

أن بعض الوسائط الأخرى –وهي مهمة- تعمل على تحقيق أهداف أخرى وهو صلب موضوع هذه المداخلة.

وإذا كان تأثير بعض المؤسسات (التقليدية) كالأسرة والمدرسة في نمو الطفل من كل جوانبه (المعرفي بياجيه، الاجتماعي أريكسون..) قد دُرس بنسب متفاوتة ضمن عدة ثقافات، فإن تأثير وسائل الإعلام الحديثة في هذا النمو وخاصة التلفزة قد أصبح ميداناً جديداً لعدة دراسات ميدانية في مختلف البلدان.

تبين بعض الدراسات العربية أن الأطفال يقضون أمام جهاز التلفزيون ما بين 2-3 ساعة يومياً (إيناس غزال 2001،ص224)، وفي دراسة أجريت في الأردن تبين أن معدل ساعات مشاهدة التلفزيون عند الأطفال بين 3-3.5 ساعة يومياً.

وفي دراسة أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية تبين أن الطفل يقضي بين 5-6 ساعات يومياً أمام التلفاز(عصام نمر وآخرون 1990،ص121)، بينما تبين دراسة أمريكية أخرى أن التلفزة أصبحت بمثابة حاضنة اصطناعية خاصة للأطفال دون الخامسة من العمر، فهم يقضون في المتوسط 30ساعة أمام التلفاز أسبوعياً، وعندما يبلغ هؤلاء الأطفال السابعة عشرة من عمرهم يكونون قد استهلكوا حوالي 15000 ساعة ورغم الإيجابيات فإن لمشاهدة التلفزة جوانب سلبية في تشكيل اتجاهات وأنماط سلوك الأطفال وفي تحصيلهم الدراسي.

فمن بين الآثار السلبية لوسائل الإعلام نذكر مشكلة العنف، فقد أكدت عملية مسح لبرامج يقدمها التلفزيون للأطفال على مدى 6سنوات، بعد تحليل مضمونها، أن 70% من هذه البرامج، يتضمن واقعة واحدة على الأقل من وقائع العنف (أمل الأحمد،2001، ص75).

إن هذه الدراسات وغيرها أنتجت في الغرب –أمريكا على الخصوص- دعوة إلى مناهضة التلفزيون (ماري وين 1999).

وقد كانت هذه الدعوة كرد فعل عن المضار التي يمكن أن تلحق الأطفال من الناحية الجسمية والنفسية وكذا من حيث التحصيل المعرفي والدراسي، كما أن استعمال التلفزيون وزيادة استعماله تؤدي إلى الاغتراب، نزع الطابع الإنساني، فتور المشاعر، الخواء الأخلاقي(ماري وين 1999، ص297).

أما عندنا في المجتمعات الشرقية فالمشكلة أكبر من ذلك بكثير إذ أن الأمر يتعلق بالثقافة والقيم والأخلاق والحضارة.

إن ما يبث في التلفاز من خلال الفضائيات يمثل قيم حضارة معينة ليست هي حضارتنا وبالتالي فإنها تؤثر على سلوكات الأطفال بما يتنافى وحضارتنا.

والمحرومون من التاريخ والقيم الذاتية هم طرائد سهلة لكل أنواع الإحباط والانحطاط.

فالإصرار على استحضار التاريخ والثقافة الوطنية بكل مقوماتها من لغة وتراث كما جاء في دراسة جامعية بفرنسا مهم جدا، لأن فيه توكيداً على مصادر القوة داخل الإنسان، وما يبث في التلفاز يحاول بكل ما أوتي من علم وفن إضعاف مصادر قوى أبنائنا الداخلية.

وأعتقد أنه بإمكاننا حصر في أسطر قليلة كل الفوائد(الإيجابيات) التي يقدمها التلفاز لأطفالنا (المتعة، اللّغة، إشباع بعض المطالب النفسية، المعلومة) ولكن المضار أكبر من ذلك، لأن الأمر يتعلق بالآنية والصالة، كما يقول مولود قاسم.

فقد كادت القيم التي تبثها الأسرة في أبنائها تضمر وتنحل بسبب وسائل الإعلام وخاصة التلفاز، إذ تتوالى الإعلانات الخليعة والأغاني الرخيصة ومناظر الدعارة، والعنف والنصب والاحتيال وتمجيد كل ما هو سوقي ومبتذل.

والأهم من ذلك هو إضعاف الأطفال داخلياً، بتقديس كل ما هو غربي وتقزيم كل ما هو شرقي بطرائق وأساليب ماكرة، وهي ذكية.

فقد أكدت دراسة(سامية رزق 1995) حول القيم المتضمنة في الإعلان التلفزيوني أن نسبة كبيرة من الإعلانات تتجه إلى إبراز قيم ذات اتجاه جنسي، وأن هذه الإعلانات عرضت نمطاً ثقافياً غريباً عن واقع المجتمع المصري(العربي)، يدعم القيم الغربية ويتجاهل القيم الشرقية، وكان ذلك من خلال الاعتماد على النمط الغربي في الملابس، العلاقات المتحررة بين الرجل والمرأة، والألحان الغربية(إيناس غزال،ص ص 20 21).

وقد أظهر تحليل محتوى بعض المسلسلات التلفزيونية العربية السلبيات التالية:

- تقديم كلمة (سعيدة...) عند التحية والترحيب على جملة (السلام عليكم ورحمة ا وبركاته).
- الوشاية بين الناس لتحقيق مآرب شخصية.
- التعدي على المال العام والتحايل في سبيل السرقة منه.
- التجسس على الغير.
- بيان عدة أساليب للسرقة والنصب والاحتيال.
- تأكيد قيمة الكذب على أنها وسيلة مثلى لتحقيق النجاح والمآرب الشخصية (سعيد إسماعيل علي1995، ص130).

وتشير دراسة (عبد ا بوجلال 1995،ص95) إلى أنه من بين التأثيرات السلبية التي تحدثها مشاهدة برامج القنوات الأجنبية، تلقين الشباب (الأطفال) معلومات وأفكار

تخدم الأقطار والقوى المالكة والمسيرة لتلك القنوات وهي في الغالب تتعارض مع قيم ومعتقدات واتجاهات ومصالح الرأي العام الوطني.

ويؤكد (عماد زكي1995، ص49) أن الإنتاج العالمي في مجال تلفزيون الأطفال ينذر بعواقب وخيمة على نفسية الطفل وبناء شخصيته، لأنه إنتاج في معظمه غير منضبط بمواصفات العمل الفني المتقن الملائم لمدركات الطفل، ويعتقد أن الأطفال العرب أول ضحايا هذا الإنتاج.

إنه يهدد أطفالنا بخطر مزدوج: خطر رداءة الأعمال وخطر الغزو الثقافي الذي ينفث سمومه من خلال أعمال كرتونية كتبت لأطفال غير أطفالنا برؤية ثقافية لا تتفق في كثير من الأحيان مع ثقافتنا الذاتية، وتكرس نموذجاً ثقافياً ينتمي للحضارة التي أنتجتها.

وعليه يمكن القول أن وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون(الهوائيات المقعرة) تبث وتعزز قيم أفلام رعاة البقر، ومسلسلات العنف، وتمثيليات الجنس والجريمة، ومناظر الدعارة، كل ذلك ينتقل إلى الطفل فيصاب بفقدان المناعة الثقافية، وتتعطل قدرته على التمييز؛ فيترب قيماً غريبة عنه تتنافى وقيم الأسرة والمدرسة والمجتمع الذي يعيش فيه، مما يؤدي إلى حالات من الاضطراب واللاسواء.

استراتيجيات الحد من تأثير الفضائيات على تنشئة الطفل:

إن الحديث عن أساليب الحد من التأثير السلبي للفضائيات على سلوك الطفل وأنماط تفكيره، حديث مهم وجاد، ولا أعتقد أن الأساليب التقنية والبدائل السمعية البصرية، تكون ذات جدوى إذا لم تكن واعية، وأقصد بواعية أن على المربين أن يعوا (كما وعي فوكوياما وهننغتن) الصراع بين الحضارات، لأنه بدون ذلك الوعي أو الشعور بالتحدي كما يسميه الأستاذ مالك بن نبي لا يمكن أن نصمد أو نحقق ذواتنا.

وما النجاحات المتوالية للغرب علينا إلاّ لانعدام الوعي والحصن الذي يحمينا من كل ما هو دخيل، وهذا ما أكده محمد الغزالي بقوله:"إن الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، وأن التحدي الثقافي الأجنبي يمتد في الفراغ العقلي والديني عندنا، وربما أعانه هذا على استئصال شأفتنا والقضاء على رسالتنا...، وعندي أن مطاردة الفقهاء والدعاة الذين يصنعون هذا الفراغ أهم من مطاردة تجار المخدرات وباعة القبور، وإذا لم ننقذ مستقبلنا الحضاري من هؤلاء الناس قضوا علينا يقيناً"(محمد الغزالي1989،ص60).

ويرى أحد الباحثين أن المشهد الحزين لثقافتنا ناتج عن تقاعسنا واسترخائنا، أكثر من كونه نتاجاً لما يقوم به الآخرون من تشويه وطمس.

ويجدر التنويه أن أشكال الغزو الثقافي أهم من أشكال الغزو المادي والاحتلال، إذا لم يكن هذا الأخير يحمل فكراً وقيماً.

وعليه فإستراتيجية الحد من تأثير الفضائيات على الطفل تكون بـ:

أولاً: ضرورة توعية الكبار، من إعلاميين ومعلمين وأولياء وإداريين وسياسيين، بأهمية الوسائل التربوية المباشرة وغير المباشرة وخطرها، وخاصة وسائل الإعلام بما فيها الفضائيات.

وأن يعوا أنه ليس لنا سوى التربية بوسائلها المتنوعة مخرجاً لانتشال ثقافتنا من أزمتها الراهنة، فالتربية هي مداخلنا إلى تنمية شاملة وصامدة، ودرعنا الواقي ضد الاكتساح الثقافي في عصر العولمة (نبيل على،2001،ص291).

وأن يعوا أنه بالتربية ووسائلها خضعت المجتمعات وتخضع لأهواء من يقبض على زمام الأمور –عسكرياً قديماً وإعلامياً حديثاً- فقد أدت التربية دوراً في مخططات الهيمنة على الشعوب والثقافات.

فإما أن تكون التربية أس الداء، وإما أن تكون الدواء وطوق النجاة، فما أن تنتاب الشعوب المصاعب حتى تتمسك بالتربية ملاذاً أو مهرباً، فقد لجأت فرنسا إلى التربية إثر هزيمتها على أيدي الألمان، كما بادرت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إصلاح نظامها التربوي – لجوء للتربية- منذ أن أطلق الاتحاد السوفياتي –سابقا- أول قمر صناعي له سنة 1957.

ثانياً: أن ينطلق المربون والإعلاميون من كون وسائل الإعلام –خاصة التلفزيون- ليس منعزلاً عن المجتمع، بل هو متجذر في صلب التشكيلة الاجتماعية، وأن التلفزيون ليس مجرد أداة للصراع، بل هو ميدان للصراع وموضوعه (أديب خضور،1999، ص27).

ويتطلب ذلك انتقاء العاملين في ميدان الإعلام، بإخضاعهم للاختبارات ولدورات تدريبية مستمرة بغية تطوير إمكانياتهم، ولعل أفضل برامج التدريب ما يبنى على الكفاية، ويقصد بالكفاية جميع المعلومات والخبرات والمعارف والمهارات التي تنعكس على السلوك.

إن برامج التدريب المبنية على الكفاية هي تلك البرامج التي تحدد أهدافاً إجرائيةً لتدريب معدي البرامج، وتحدد الكفاية المطلوبة بشكل واضح، ثم تلزمهم بالمسؤولية عن تحقق هذه الأهداف، ولن يتأتى ذلك إلاّ إذا توفرت الشروط الآتية:

1- أن يكون لدى الأشخاص الذين يشتركون في البرنامج التدريبي الرغبة في متابعته والاعتقاد بفائدته.

2- أن يلم المتدرب بالأهداف العامة للتربية وفلسفتها واستراتيجياتها.

3- أن يلم المتدرب بعلم نفس الجماهير (الأطفال)، وخصائص النمو المتكامل ومتطلباته.

إن خصائص النمو المتكامل للطفل هي محصلة تفاعل ثلاثة عوامل هي مظاهر النمو العضوي وآثار الثقافة القائمة ومستوى طموح الأفراد.

4- أن يتشبع المتدرب بثقافة المجتمع وقيمه وأهدافه ومبادئه ليكون قادراً على مواجهة تحديات العولمة.

ثالثاً: عندما يقتنع الكبار بأهمية قيمنا وخطورة القيم الوافدة تأتي مرحلة أخرى وهي مرحلة رفع التحدي و مقاومة الآثار السلبية للثقافات الوافدة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة ومنها الفضائيات، ووضع الإستراتيجية الملائمة لتنشئة الأطفال تنشئةً سليمةً.

ويمكن تفصيل هذه المرحلة في الخطوات التالية:

1- بعد التحصين بالبعد الروحي والثقافي والإيمان بقيم المجتمع ومبادئه، تواجه تأثيرات الفضائيات على الطفل بأساليب العلم الحديث وتقنياته وأدواته، ويكون ذلك بـ:

أ- معرفة أساليب الاتصال البيداغوجي والاجتماعي: إن من أهم الأساليب التي بها يمكن أن نواجه مختلف التأثيرات الخارجية لاسيما تأثير الفضائيات هو ذلك الحوار الأسري الذي يحدث بين الأبناء والآباء، ربما يتساءل البعض كيف للحوار الأسري القدرة على مواجهة تأثير الفضائيات. وإن من فوائد الاتصال الأسري تقوية العلاقات بين الآباء والأبناء كما يعمل على الانفتاح بين أفراد الأسرة الواحدة بحيث لا يجد الطفل صعوبة في التعبير عن حاجاته و عن مشكلاته دون اللجوء إلى مواطن أخرى لإشباع حاجاته بطرق غير سليمة و خاطئة.و لا تتوقف فائدة الاتصال عند هذا الحد فقط بل نتحدث أيضا عن الاتصال الإرشادي حيث أن لهذا النوع من الاتصال دورا مهما في تنمية بعض القيم الأخلاقية والإنسانية والدينية وتقوية الاتجاهات الاجتماعية الايجابية.

والعنصر المهم في العملية الاتصالية داخل الأسرة هو عنصر الإصغاء بشتى أنواعه، إذ انه من اكبر الأسباب التي تجعل الطفل يقضي معظم أوقاته أمام التلفاز هو عدم وجود من يصغي إليه ولمعاناته و اهتماماته لذا لابد من إعطاء الاهتمام الأكبر لعملية الإصغاء و ذلك بإتباع الإجراءات التالية:

- الإصغاء بصبر لما يقوله الأبناء و لو كان تافه
- تفهم المشاعر التي يريد الطفل التعبير عنها
- السماح بالوقت الكافي للاستماع إلى الأبناء دون مقاطعتهم
- تجنب الأسئلة المباشرة والجدل في الملومات التي يسردها
- استعمال سياسة الإفساح

- استعمال لغة الإشارات.(سعد جلال 1972)

ب- التركز على مضمون المادة الإعلامية الذي يجب أن يتجه أكثر نحو العلم والموضوعية.

ج- التركيز على طرائق تقديم المادة الإعلامية، فيجب أن تخاطب مضامين المادة الإعلامية وطرائق عرضها وتقديمها العقل أكثر مما تخاطب العاطفة، ويجب أن تكون مناسبةً للمراحل النمائية للطفل بمستوياتها العقلية والاجتماعية والنفسية (أمل الأحمد،2001، ص75).

د- محاصرة الآثار السلبية للفضائيات عن طريق الاهتمام بدحض وجهات النظر التي تتعارض مع وجهات النظر المحلية أو تختلف معها وذلك بتثبيت القيم المحلية، وتنمية مقدرة الأطفال على التعامل الذكي مع هذه الوسائل فلا يتقبلون كل ما يقدم لهم، بل يتفاعلون معه بعقلية ناضجة وواعية.

المراجع:

1- نبيل علي (2001) الثقافة العربية وعصر المعلومات،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة العدد276، الكويت.
2- صالح ذياب هندي (1995) أثر وسائل الإعلام على الطفل، ط2 دار الفكر للنشر والتوزيع عمان الأردن.
3- إيناس محمد غزال (2001) الإعلانات التلفزيونية وثقافة الطفل، دار الجامعة الجديدة للنشر الاسكندرية مصر.
4- عصام نمر وعزيز صمارة (1990) الطفل والأسرة والمجتمع، ط2 دار الفكر للنشر والتوزيع عمان الأردن.
5- أديب خضور(1999) سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون، ط1 دار الأيام للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر.
6- ماري وين ترجمة عبد الفتاح الصبحي (1999)، الأطفال والإدمان التلفزيوني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة، العدد 247، الكويت.
7- سعيد اسماعيل علي (1995) التعليم والإعلام، في مجلة عالم الفكر،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب العددان 1، 2 ، الكويت.
8- عبد المنعم شحاتة (1995) مكونات الإعلام وآثاره من منظور علم النفس، في مجلة عالم الفكر،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب العددان 1، 2 ، الكويت.
9- محمد الغزالي (1989)الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، الزيتونة للإعلام والنشر باتنة الجزائر.
10- أحمد شبشوب (1991) علوم التربية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.
11- محمد موفق الغلاييني(1985) وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، ط1 المنار للنشر والتوزيع، جدة السعودية.

12- عبد ا بوجلال (1995) الشباب الجزائري بين الإقبال على مشاهدة برامج القنوات الأجنبية ومشاهدة برامج القناة الأجنبية، في المجلة الجزائرية للتربية،العدد3 السنة1، وزارة التربية الوطنية، الجزائر.
13- عماد زكي (1995) أدب الخيال العلمي في تلفزيون الطفل العربي، في مجلة الرواسي، العدد12، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي، باتنة الجزائر.
14- أمل الأحمد (2001) بحوث ودراسات في علم النفس، مؤسسة الرسالة،ط1، بيروت لبنان.
15- سعد جلال (1972) علم النفس الاجتماعي ليبيا جامعة قار يونس.